برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة (15)

الاحد 14/2/2016م 5 جمادى الأولى 1437هـ

✤ عنوانٌ جديد هو بتتابُع العناوين السّابقة مع العنوان الرئيس الّذي بدأتُ به قبل عدّة حلقات: (الشّهادة الثّالثة المُقدّسة). ومرّ الكلام فيما جرّه علماؤنا ومراجعنا وما أفتوا به بخصوص الشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة، وقد مرّ علينا اختلافهم الكبير جدّاً ، كُلّ تلك الفتاوى -بحسب نظري- خائبة وبعيدة عن الصّواب، وسيتّضح هذا من خلال ما يتم عرضه في هذهِ الحلقات.

✤ في هذه الحلقة سأتناول الموقف الشّرعي مِن الشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة بِحسب منهج (لحن القول).

✤ الشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة جزءٌ واجبٌ في الأذان والإقامة.

والأذان والإقامة مِن دون ذِكر الشّهادة الثّالثة أذانٌ باطلٌ وإقامة باطلة، وإذا جئنا بالشّهادة الثّالثة بعنوان (الإستحباب) لا بعنوان الجزئية الواجبة، فالأذان باطل أيضاً، والإقامة باطلة أيضاً.

✤ إذا عقدنا مُقارنةً بين أجزاء الأذان والإقامة، فالشّهادة الثّالثة هي الجزء الأوجب من كلّ الأجزاء الأخرى.. والآية 67 من سورة المائدة تُؤكد ذلك.

✤ في حديث أهل البيت هناك روايات ترِدُ عنهم عليهم السَّلام في جوّ الفُتيا والأحكام، نفهمها مِن خلال السّياق والقرآئن بالفَهم البدوي، أي بـ(الظّهور العُرفي). ولكن الفَهْم بالظّهور العرفي ليس دائماً هو الفَهم الّذي نلجأ إليه؛ لأنّ أهل البيت تحدّثوا بلسان العُرف، وتحدّثوا بلسان المعاريض وهو لسانٌ آخر يختلف عن لسان الظّهور العرفي.

✤ ورد حُكم الشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة وفي غيرهما من الموارد الأخرى، بـ(لسان العُرف ولسان المعاريض) وذلك لأهمّيتها.

✤ وقفة عند الأحاديث الّتي تحدّثتْ عن الشّهادة الثّالثة بالّلسان العُرفي:

● قول الشّيخ الصّدوق في كتاب الفقيه ج1 : (والمفوّضة لعنهم الله قد وضعوا أخباراً، وزادوا في الأذان محمّداً وآل محمّد خير البريّة مرّتين). هذا الرأي يخصّ الشّيخ الصّدوق، وتعبير (زادوا في الأذان) يُشير إلى أنّ هذهِ الزّيادات هي من الأجزاء الواجبة في الأذان والإقامة لأنّ الصّدوق يتحدّث عن فصول الأذان.

✤ الّذي يبدو من الرّوايات الّتي تحدّث عنها الشّيخ الصّدوق أنّه نقل عبارات الشّهادة الثّالثة كما هي، ولكن ما صاحبها من حديث الأئمة الّذي تضمّن معنى أنّ هذه العبارات تُقال في الأذان والإقامة، هذا هو الّذي لم ينقلهُ الشّيخ الصّدوق، مُضيفاً إليه رأيه.

✤ سنتعامل مع هذه الرّوايات بحسب منهج القرآن والعترة:

● سورة الحجرات آية 6 (يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا)

الآية نزلت مرّتين: الأولى نزلتْ في الذين قذفوا أم المؤمنين مارية القبطية، وهم أعدى أعداء أهل البيت.

والمرّة الثّانية: نزلتْ في أفسق خلق الله وهو: الوليدُ ابن عقبة.

والنّبي الأعظم حين نزلت الآية مرّتين، عمِل بمنطوق الآية ولم يعمل بمفهومها.

✤ لو أردنا عمل مُقايسة نسبيّة داخل أعداء أهل البيت (فإنّ المفوّضة والغُلاة) أفضل وأطهر وأحسن مِن أولئك الّذين نزلتْ فيهم آية 6 من سورة الحجرات.

✤ حتّى لو فرضنا أن الغلاة والمُفوّضة مُتساويين في الخُبث والحقارة مع النّواصب الّذين نزلت بشأنهم آية (إن جاءكم فاسق) فالآية تدعونا أيضاً إلى التّحقق من المضمون الّذي نقلوه، وأن لا نرد أخبارهم.

✤ وقفة عند جملة مِن أحاديث العترة الّتي تُبيّن كيف نتبيّن مضمون الأخبار:

● (إنّ على كُلّ صواباً نورا...).

● (سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، ومنهم مَن لا نثق به؟..)

● (كلُّ حديثٍ لا يوافق كتابَ الله فهو زخرف)

✤ الشّيخ الصّدوق لا يخلو من حالتين:

إمّا أن يكون مُخطئاً في تقييم هؤلاء الرّواة المُفوّضة - وهو كذلك- ، وإمّا أن يكون مُصيباً.

وعلى الحالتين، فالأئمة يُريدون مِنّا أن نعرض الحديث على القرآن، والقرآن يأمرنا بالتّثبت.

✤ قد يقول قائل: بأنّ الأحاديث لم تأتِ بكلّ نصوصها، بل وردت بمضمونها.

فنقول: أنّ الأئمة أجازوا العمل بالأحاديث حتّى لو نُقلت بمضمونها.

● (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص؟ قال: إن كنتَ تريد معانيه فلا بأس)

● (إنّي أسمع الكلام منك فأريدُ أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيئ قال: فتعمد ذلك؟ قلت: لا، فقال: تريد المعاني؟ قلت: نعم، قال: فلا بأس)

✤ إذا قال الأئمة بأنّ عبارات الشّهادة الثّالثة تُذكر في الأذان بعد الشّهادة الثّانية، فبحسب الظّهور العُرفي يعني أنّها جزء واجب.

✤ عرض لروايات الشّهادة الثّالثة على كتاب الله:

● سورة المعارج الآيات مِن 22 إلى 34 (إلّا المُصلّين* الّذين هم على صلاتهم دائمون...) إلى قولهِ: (والّذين هُم بشهاداتهم قائمون* والّذين هم على صلاتهم يُحافظون..)

الآية قالت: (والّذين هم بشهاداتهم قائمون) الجمع يُطلق على الثّلاثة فما فوق.

✤ قد يقول قائل أنّ المراد مِن (الشّهادات) هنا هي إقامة الشّهادة والبيّنة في القضاء والمحاكم..!

فأقول: الشّهادات في القضاء والمحاكم مهمّة، ولكن الشاهدات في ثقافتنا القرآنية وفي ثقافة العترة لها مراتب كثيرة، وليست الشّهادة في المحاكم وفي القضاء هي أعلى مراتب الشّهادات.

✤ مراتب الشّهادات في القرآن الكريم:

● سورة الأنعام آية19 (قل أيّ شيءٍ أكبر شهادة قلُ الله شهيدٌ بيني وبينكم...) هذهِ هي أكبرُ الشّهادة

الشهادةُ الأكبر والأعظم هي الّتي إذا ما تُركتْ يكون الإنسان في أعلى درجات الظّلم.

● سورة البقرة آية 140 (ومَن أظلم مِمّن كتمَ شهادةً عنده مِن الله..) الآية تتحدّث في سياق آيات تُخاطب اليهود والنّصارى وتُطالبهم بالإذعان لنبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وتقول بأنّ مَن كتم هذه الشّهادة هو أظلمُ الظّالمين.. فهي تُشير إلى أكبر الشّهادات، وأكبرُ الشّهادات هي: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله.. وتأتينا سُورة المائدة وتقول: (فإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته)

✤ أعلى مراتب الشّهادة هي في المحضر العلوي.. وشاهد ذلك قوله تعالى:

في سورة الرعد آخر آية: (قلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عندهُ علْم الكتاب)

فقد قُرنت شهادة عليّ بشهادة الله، فشهادة عليّ كشهادة الله تعالى. فأعلى مراتب الشّهادات هي:

(شهادتنا بالتّوحيد، وشهادتنا بالرّسالة، وشهادتنا بالولاية) ومن أشرف مواطنها هي الصّلاة.

✤ الآية (بشهاداتهم قائمون) تعبير (قائم) على وزن فاعل وهذه الصّيغة تُشير إلى التلبّس المُستمر، والمُتكرّر. وصيغة (قائم) هي اسم فاعل ولكنها في جوهرها هي صيغة للفعل المضارع (يُقيم)، لذلك تدل على اسمرار الفعل وتكراره في الحاضر والمُستقبل، وهذا لا ينطبق على شهادات المحاكم، والقضاء.

✤ في سورة الحج (الّذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصّلاة...) حالة الإقامة للصّلاة هي الحالة الدّائمة والمُستمرّة.

✤ في حديث المعرفة بالنّورانية، سنجد أنّ ذكر مُحمّد وعلي يتمازجان معاً في كُلّ المظاهر.. فلماذا لا يتمازجان في الأذان والإقامة، وهما من مظاهرهما صلوات الله عليهما؟

✤ الشّهادات هي أعلى المراتب في الدّنيا، وأعلى المراتب في الآخرة.. وفي حديث العترة ما يُؤكّد ذلك كما ورد في الكافي الشّريف (..فجعفر وحمزة هما الشّاهدان للأنبياء عليهم السّلام بما بلغو..)

✤ فالشّهادات هي أعلى المنازل على المستوى اللّفظي والعقائدي، وعلى مستوى العبادات.

ولهذا كُلّ صلاة في قلبها تشهّد وفي نهايتها تشهّد، لأنّ هذه الشّهادات هي الأساس في بُنية العبادات.

✤ هذه الرّوايات الّتي لم ينقلها العلماء بخصوص الشّهادة الثّالثة جاءتْ موافقة لمنطق القرآن.. فما شأني بما يقولهُ العلماء عنها ؟

✤ حتّى لو أردتُ أن أتنزّل وأقول: بأنّ ما جاء في مضامين هذهِ الرّوايات لا يُوجد في القرآن ما يدّل عليه.. فأقول: لا يُوجد في القرآن أيضاً ما يُعارض هذهِ الرّوايات، ونحن أُمرنا بعرض الرّوايات على القرآن.. فأين المُعارض لقول الشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة في القرآن؟

✤ حتّى من حَكَم بالجُزئية المُستحبّة للشّهادة الثّالثة في الأذان والإقامة، أذانهُ باطل، وإقامتهُ باطلة؛ لأنّه ابتداع مِن عنده. هم قالوا بالجُزئية المُستحبّة لأنّ الرّوايات لم يقبلها المشهور..؟! ما قيمة المشهور وهو يُعارض حديث أهل البيت، ويُعارض كتاب الله.

✤ الغريب أنّ علماءنا ومراجعنا كُلّما ذُكرت الشّهادة الثّالثة، أعادوا النّاس إلى قول الشّيخ الصّدوق!

أنا أسألهم: هل أنّ الشّيخ الصّدوق مهم جدّاً عندكم؟ إذن لماذا لا تعملون بآرائه الأخرى:

- أليس الشّيخ الصّدوق يُوجب الحجّ في كُلّ سنة على المُتمكّن.

- ألا يُجيز الغُسل والوضوء بالماء المُضاف (ماء الورد)

- ألا يعُدّ الّذي لا يلتزم بسهو النّبي (أنّه مُغالي)..؟

لماذا تُناقشونه في آرائهِ الأخرى.. وتعتمدون على رأيهِ في الشّهادة الثّالثة؟!

✤ حين يعود الكلام إلى عليّ يشتغل فايروس السّقيفة.

✤ الأئمة عليهم السَّلام مرّة يتكلمون باللّسان اللّغوي (العرفي) ومرّةً يتكلّمون بلسان المعاريض، ومرّدُ هذه القضيّة إلى قانون مهم وهو قانون البدائل.

✤ المُشكلة الموجودة بيننا أنّ سيرة النّبي وأهل البيت عليهم السَّلام لم تُدرَس ولم تُحقّق، ولم يُستخرج منها القواعد والأصول، سيرة المعصوم عند العُلماء رُكامٌ مِن الأحاديث، مِن دون أن تُستخرج منها قواعد وأصول واضحة.

✤ الأئمةعليهم السّلام في القضايا المُهمّة الّتي يعلمون أنّ الأعداء سيعبثون بها ويُحرّفونها وضعوا قانون (البدائل).. فهو قانون لحفظ الحقائق.

✤ قانون البدائل هو قانون قرآني.

● وقفة عند كلام سيّد الأوصياء في حديثهِ عن القرآن: (ثُمّ إنّ الله جلّ ذكْره بسعةِ رحْمته، ورأفتهِ بخلقه، وعلْمهِ بما يُحدثهُ المُبدّلون مِن تغيير كتابه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قِسْماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقِسْماً لا يعرفهُ إلّا مَن صفا ذِهنه، ولطُفَ حسّه، وصحّ تمييزه مِمّن شرحَ الله صدره للإسلام، وقِسْماً لا يعرفهُ إلّا الله وأمناؤه الرّاسخون في العلم) هذا هو قانون البدائل، وهذا القانون يجري في القرآن ويجري في حديث أهل البيت من أجل حفظ حقائق القرآن.

✤ (وقِسْماً لا يعرفهُ إلّا مَن صفا ذِهنه، ولطُفَ حسّه) هذا القِسم هو الّذي قال في حقّه أهل البيت عليهم السّلام: (اعرفوا منازل شيعتنا بقدْر ما يُحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدُّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون مُحدّثا....)

✤ أحاديثُ النّواصب يتناقلها علماؤنا في كُتبهم، أمّا أحاديث الشّهادة الثّالثة، فلم ينقلوها بل قالوا عنها أحاديث غُلاة ومُفوّضة..! (وهي ظُلامة كبرى من ظلامات عليّ الّتي لا تُعدّ ولا تُحصى)!

✤ وقفة عند قانون البدائل في حديث أهل بيت العصمة:

● (نزل القرآن بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة) هذا مصداق من مصاديق البدائل

● (إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطنٌ وله ظهر وللظّهر ظهرٌ، يا جابر وليس شيءٌ أبعدُ من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إنّ الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء) هذه هي البدائلُ القرآنية لحفظ القرآن.

✤ سيتّضحُ قانون البدائل بشكلٍ واضح حين نتحدّث عن التّحريف في القرآن في الحلقات القادمة.

✤ قول الإمام الصّادق عليه السَّلام: (أنتم أفقه النّاس إذا عرفتم معاني كلامنا) هذه العبارة تُشير إلى أنّ أهل البيت لا يتكلّمون دائماً بلسان الظّهور العُرفي الّتي يتمسّك بها مراجعنا وعلماؤنا عملاً بمنهج الشّافعي.. ولو كانوا يتحدّثون دوماً بلسان الظّهور العُرفي لما قالوا هذا الكلام.

✤ كما أنّ القرآن نزل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة.. فكذلك حديث العترة جاء بلسان إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة.. وشاهد ذلك قول الإمام الباقر (يا بني اعرف منازل الشّيعة على قدْر روايتهم ومعرفتهم ، فإنّ المعرفة هي الدّراية للرّواية...) فالمعصوم لا يحتاج إلى ميزان لمعرفة منازل الشيعة.. فالكلام إلينا.

✤ الدّراية للرّواية هي شيءٌ آخر غير الظّهور العُرفي.. بدليل أنّ الإمام الصّادق يقول: (حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه...) فإنّ ألف حديثٍ ترويه تُشير إلى فهم الأحاديث بالّلسان الّلغوي، إذ لا يُمكن حفظ ألف رواية دون فهم معناها الّلغوي، لذلكَ حين يُصرّ الأئمة على الدّراية فهم يُشيرون إلى فَهمٍ آخر غير الفهم العُرفي وهو المعاريض.

✤ زلّة العالم قد لا يُحاسب عنها إن لم تكن بسوء نيّة، ولكن تُغرق الأمّة (زلّة العالم كانكسار السّفينة تغرَق وتُغرِق)

✤ بيان من هو الفقيه في نظر الإمام الصّادق.

✤ المعاريض هو أسلوب مِن أساليب التّخفية.. و أسلوب (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة) ليس هو أسلوب المعاريض، وإنّما يقع في حاشية أسلوب المعاريض.